وثائق غنيزه القاهرة

الدراسة التاريخية، أو الاجتماعية، أو اللغوية، لعصر ما، لا بدّ من ان تعتمد على المخطوطات والوثائق. فهي أصدق تعبير عن العصر الذي كتبت فيه. ولذا، فالى جانب الأهمية البالغة لوثائق الغنيزه، بالنسبة الى تاريخ يهود العالم العربي، فانها تشكّل دوراً هامّاً، أيضاً، في دراسة التاريخ الاسلامي عامّة، وفي مصر بشكل خاص.

والغنيزه مصطلح حديث اطلق على الوثائق والمخطوطات التي كنزها اليهود في العصور الوسطى، في معبد «بن عزرا» بالفسطاط، الخاص بطائفة اليهود الربانيين، ومقابر اليهود في حي البساتين. ولهذا أطلق على هذه المجموعة اسم «غنيزه القاهرة».

وتعني الغنيـزه، لغوياً، المخبأ، أو مكان الدفن. فهي قريبة من الكلمة العربية التي تعني المركب المشيع للميت. أمّا في تقاليد اليهودية، فيطلق اسم الغنيزه على مستودع الاوراق البالية من الكتابات اليهودية المقدسة، التي لا يجوز ابادتها، حتى وان لم تعد تستعمل؛ وذلك لما يفترض من ورود اسم الله في ثناياها. وعليه، فقد جرت العادة على خزن هذه الكتب البالية وقصاصات الورق، «مؤقتاً»، في مكان محدّد في المعبد؛ ثمّ يتمّ، من حين الى آخر، تفريغ هذا المكان من محتوياته، لتنقل، عادة، الى المقبرة، حيث تدفن نهائياً. ويطلق اسم «غرفة الغنيزه» على المستودع المؤقت في المعبد؛ وكذلك على المدفن الدائم في المقبرة (Cohen, Mark R.; *Jewish life in Medieval Egypt, 641 - 1382*, Tel - Aviv: Tel - Aviv University, 1987, p. 91).

ومعبد «بن عزرا»، الذي اكتشفت فيه مخطوطات الغنيزه، كان يعرف باسم معبد الياهو ويعرف، أيضاً، بقصر الشمع. ويزعم بعض الروايات اليهودية ان النبي الياهو (ايليا) قد تجلّى ذات مرة للمتعبدين هناك. ويعتبر اليهود المصريون موقع ذلك المعبد مكاناً مقدساً، حيث يزعمون ان النبي موسى صلى الى الله في هذا المكان، ودعاه ان يرفع عن المصريين الطاعون الذي ابتلاهم به.

وتعتبر محتويات غرفة الغنيزه في معبد «بن عزرا»، أخطر، وأهمّ، مخطوطات الغنيزه على الاطلاق؛ وهي ملحقة بأعلى المعبد (في نهاية بهو النساء)، وتبلغ قياساتها ٥ × ٢ × ٥ × ٢,٥ م؛ وليس لها مدخل سوى نافذة عالية يمكن الوصول اليها من على السلم فقط، حيث كان على يهود ذلك العصر الصعود لالقاء اوراقهم من تلك النافذة الى داخل الغرفة.

وأول من علم بوجود الغنيزه في الفسطاط، كان الرحالة اليهودي سيمون فون غلورن الذي زار المعبد (وكان ما زال يدعى كنيس، أو معبد، الياهو) في سنة ١٧٥٢، والقى نظرة على الغنيزه، كما ذكر في يومياته (**المصدر نفسه**).

ثمّ تمكّن اليهودي الروسي ابراهام فيركوفتش (١٧٨٦ ـ ١٨٧٤) من الحصول على بضعة آلاف من تلك المخطوطات، التي استقرت في المكتبة العامة في سانت بطرسبرغ (لينغراد حالياً).

وفي العام ١٨٨٨، قام اليهودي البريطاني الكان ادلر بزيادة المعبد، ولكنه لم يتمكّن من اكتشاف حجرة الغنيزه. غير انه عاد، مرة أخرى، في العام ١٨٩٦، حيث قاده الحاخام الاكبر للقاهرة الى حجرة الغنيزه ذاتها، فكـان أول اوروبي يمنح هذا الامتياز، حيث سمح له بالدخول عبر النافذة، ليقضي نحو أربع ساعات داخل الحجـرة، ثمّ يخرج ببضعة آلاف أخرى من وثائق الغنيزه، لتكوّن مجموعات تحمل اسمه في مكتبة السمنار الثيولوجي اليهودي في نيويورك (Cassuto, David; "A Selection of Synagogues in Old Cairo", *B.L.A.C.C.*, No. 10, 1988, p. 9).